الفصل الأول

مصر المكان

مصر،، هذا الاسم الغالي على مسامعنا، والذي يعني الكثير لمن يحمل جنسيتها، وكذلك لمن لم ينل هذا الشرف، لما هذا الاسم ؟

هل تعرف لماذا سميت مصر بهذا الاسم ؟

ذهب المؤرّخون في هذا الأمر مذاهب عدة، وتعددت أرائهم، بحثنا في جميعها ورأينا أن أدقها، والأكثر اقناعًا لنا رأيان، لا نرجح أحدهما على الآخر، وإنما نرى أن الصواب في أحدهما إن شاء الله، وهما:

- الرأي الأول يرى أن مصر سميت بهذا الاسم نسبة إلى (مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام)، حيث أن بيصر بن حام هو أول من سكن مصر بعد الطوفان الذي حدث زمن نبي الله نوح عليه السلام، وكان مصر أكبر أبنائه، وهو الذي ساق أباه وجميع أخوته إلى مصر فنزلوا بها، فسميت مصر على اسمه، وقد ذكر أن

نوح عليه السلام دعا له قبل ذلك قائلا " اللهم أنه أجاب دعوتي، فبارك فيه وفي ذريته، وأسكنه الأرض المباركة (الواضح أن نوح عليه السلام كان يقصد أرض مصر)، التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا، وأجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم، وقوهم عليها "[1]

- أما الرأي الثاني الذي يراه البعض، فهو أن أصل كلمة مصر مشتق من كلمة أرامية قديمة هي (مزر)، ومعناها الحد أو الحدود، وذلك لأنه لما كثرت غارات الغزاة على مصر من ناحية حدودها الغربية، أقام الفراعنة القدماء حصونا وحواجز لحماية الحدود سميت مزر، ثم أطلقت الكلمة على مصر كلها.

وفي مطلع تاريخ الفراعنة كانت تسمى (كيمي) أو (شيمي) أو(خيمي) بمعنى الأرض الحمراء.[2]

على أي حال فمصر عرفت بهذا الاسم منذ اقدم العصور، وهي من أقدم البقاع التي عمرها الإنسان على وجه البسيطة، وقامت على أرضها أعرق وأقدم الحضارات التي عرفها البشر.

1- فتوح مصر وأخبارها – صـ7 أبي القاسم بن عبدالله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري

2- مصر الإسلامية – أ.د. عصام الدين الفقي –ص12

ونرى أن هناك عوامل عديدة ميزت مصر عن باقي بقاع الأرض، أهمها نهر النيل، هذا النهر العظيم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لمصر، فكان سببا رئيسا في قيام الحضارة على أرضها، فالمعروف أن الإنسان قديما في عصور ماقبل التاريخ كان يعيش حياة غير مستقرة مليئة بالتنقل والترحال بحثا عن الغذاء، وكانت حياته تلك فوق الهضاب سكن فيها الكهوف، فلما حل الجفاف اضطر الإنسان للنزول من فوق الهضاب للبحث عن الكلأ والماء، واذ به يجد نفسه أمام نهر النيل، الذي علمه الزراعة ومن ثم الاستقرار على ضفافه، وبناء المساكن والبيوت والقرى والمدن، فقامت تلك الحضارة المبهرة.

نرى كذلك أن موقع مصر المميز قد منحها فرصة عظيمة لبناء الحضارة، فمصر تتوسط قارات العالم القديم الثلاث (أسيا – أفريقيا – أوروبا)، وتقع مصر تحديدًا في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، كما أن لمصر امتداد أسيوي متمثل في حوالي 6،5% من مساحتها، هي كل مساحة شبه جزيرة سيناء والتي تقع بأكملها داخل قارة أسيا، فيمكن أن نطلق على مصر دولة أفروأسيوية.

ونستطيع أن نقول أن معظم حدود مصر هي حدود طبيعية متمثلة في سواحل مصر الممتدة لحوالي 3000كم، وهي سواحل بحرين من أهم بحار العالم هما الأحمر والمتوسط، وقد زاد من أهمية موقع مصر الاستراتيجي والاقتصادي ربط البحرين ببعضهما من خلال ممر ملاحي هو الأهم في العالم وهو ما عرف بقناة السويس وما لَحِقَ بها من أعمال تنمية وتطوير في العصر الحديث.

كما تتنوع أشكال السطح في مصر (التضاريس) من جبال وتلال وهضاب إلى أودية وسهول ومنخفضات وغيرها والتي تثري التنوع الجيولوجي لسطح مصر.

ولا يجب أن نغفل عن العامل البشري الذي ساعد على قيام هذه الحضارة، فلولا الإنسان المصري الشغوف بالعمل والتميز والإبداع، ما اكتمل مثلث عوامل قيام الحضارة في مصر (النهر – الموقع – الإنسان).

فيجب علينا أن نضيف إلى مقولة المؤرِّخ القديم هيرودوت "مصر هبة النيل" كلمة "والمصريين"، فلولاهم ما قام النيل ببناء تلك الحضارة.

أما عن الأهمية الدينية لمصر، فتحتاج إلى مجلدات لجمع مادتها، إلّا أننا نختصرها مراعين في ذلك التسلسل الزمني للأحداث كما يلي:

قام نبي الله وخليله إبراهيم بزيارة مصر، وتزوج منها السيدة هاجر أم إسماعيل الذبيح الذي فداه الله بكبش من السماء، وهاجر هي أم العرب المستعربة أولاد إسماعيل، والجدة الكبيرة للنبي المصطفى المختار محمد بن عبدالله ﷺ.

كما نزل النبي يوسف عليه السلام مصر وأصبح عزيزها (وزيرها) وقد وصف الله قصة يوسف عليه السلام في مصر بأنها أحسن القصص، ثم دعا إليها أبيه يعقوب (إسرائيل) وهو نبي ابن أنبياء، فيوسف هو ابن يعقوب بن أسحاق بن إبراهيم عليهم السلام أجمعين.

وولد موسى وأخيه هارون بمصر، وكانت دعوتهما عليهما السلام في مصر، وكلم الله سبحانه وتعالى نبيه موسى في مصر، كما أن الخضر الذي صاحبه موسى كان في مصر أيضا.

وفي ظل الاضطهاد والتهديد الذي تعرض إليه المسيح عليه السلام في فلسطين من اليهود والرومان، قَدِمَ المسيح وأمه القديسة مريم إلى مصر فيما عرف برحلة العائلة المقدسة.

أما عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد أوصى بمصر وأهلها، وتزوج منها أم المؤمنين السيدة مارية القبطية أم ولده ابراهيم.

أما عن مواضع ذكر مصر في القرآن الكريم فهي متعددة، منها:

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22))

يوسف (٢١)

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شاء اللهُ آمِنِينَ)

يوسف (٩٩)

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51))

الزخرف (٥١)

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (61))

البقرة (٦١)

على أي حال، فقد شرفت مصر بذكرها في القرآن الكريم، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فقد أوصى خيرًا بمصر وأهلها في حديثه لأصحابه:

" أنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما"

-رواه مسلم –

وفي رواية أخرى:

"اذا فتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما"

-رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني-

وقد علَّل العلماء التوصية في هاتين الروايتين بالرحم والذمة، بكون هاجر أم إسماعيل قبطية (مصرية)، وأن مارية زوجة النبيﷺ قبطية.

والله أعلم